تأطير تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" في سياقه التاريخي

أ.د. عبد العزيز مناضل*

المُقَدّمَة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.وبعد،هذه دراسة منهجية لمعلم بارز من معالم البلاغة القرآنية من خلال تفسير البيضاوي المسمَّى: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، وذلك بوضعه في سياقه التاريخي ضمن كتب التفاسير الإسلامية.

لقد سُجِرَ العرب بجمال القرآن وجلالته، وبهروا بروعته وحسن بيانه، ووقفوا عند جزئياته البلاغية، فأنكب علماؤهم على هذا العطاء الجديد يقتطفون ثماره؛ فبدأ التصنيف في هذا المخزون يتجدد، وتوارث الخلف عن السلف محور الأصالة في التحقيق، وهذه الكتب على وفرتها تتحدث عن مسار اللفظ القرآني، ودلالته لغة، وذلك هو: مجاز القرآن دون إرادة الاستعمال البلاغي، ودون التأكيد على « المجاز » أو « المعاني » في الصيغة الاصطلاحية، أو الحدود المرسومة لدى علماء المعاني والبيان. والمفسرون منذ نشأة التدوين اعتنوا بهذا الجانب والدليل عليه أمور نذكر منها:

أوَّلاً: فى مقدمات تفاسيرهم ينبهون إلى الوجه البلاغى فى الإعجاز القرآنى، مثلا مقدمات تفاسير "المحرر الوجيز" لابن عطية (ت 546)، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبى (ت 671هـ) ، و"التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي (741هـ)، و"البحر المحيط" لأبي حيان (ت 745هـ)، و"محاسن التأويل" للقاسمي (ت 1332هـ)، و"التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور (ت1393هـ)، وغيرها.

ثانيا: كذلك في تلك المقدمات يؤكدون على أهمية العلم بالبلاغة لتفسير القرآن الكريم، مثلا: تفسير "البسيط" للواحدي (ت 468هـ)، ومما قاله: (إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو والأدب، فإنهما عمدتاه، وإحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاستعارات الباهرة، والأمثال النادرة، والتشبيهات البديعة، والملاحن الغريبة، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير، مما لا يوجد مثله في سائر اللغات...)،وتفسير "الكشاف" للزمخشري (ت 538هـ)،وغيرها.

ثالثاً: في تفسيرهم لآيات "القرآن الكريم" لا يغفلون البلاغة على اختلاف بينهم في العناية بها، كابن جرير الطبري (ت 310هـ) في تفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، وابن عطية (ت 546هـ)، والزمخشري (ت 5هـ)، وابن جزي (ت 741هـ)، وقال في مقدمة تفسيره عن أنواع البديع، ومباحث البلاغة: (ونبهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن...)، وأبي حيان (ت 745هـ، وابن عاشور (ت 1393هـ) وهو من أكثر المفسرين عناية بالبلاغة.

وقد كُتِبَتْ رسائل في دراسة البحث البلاغي عند عدد من المفسرين، منها: "البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري" للدكتور رابح دوب، و"البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري" للدكتور محمد أبو موسى، و"المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير" للدكتور حواس بري، وغيرها.

* أستاذ باحث ، قسم اللغة العربية وآدابها ، تخصص: الأدب العربي ؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة ابن طفيل القنيطرة المغرب/ المملكة المغربية

وفي (علوم البلاغة)، نرى أولا، الإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث وضع لنا "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" ومن بعده الإمام الزمخشري في مؤلفه الذي لم يسبق إلى مثله "الكشاف" الذي صار مرجعا لمن بعده في الوقوف على كثير من وجوه البلاغة في القرآن؛ ومن بعده البيضاوي حيث سار على منواله في بيان البلاغة القرآنية؛ ومن بعده الشهاب الخفاجي الذي وضع حاشيته البلاغية الواسعة على تفسير البيضاوي. وبعد أن أسس الجرجاني للبلاغة، وفرشها الزمخشري، جاء السكاكي، ليؤلف كتابه "مفتاح العلوم" والذي كان أبرز أبوابه ما كتبه في علوم البلاغة، لتبدأ من هنا تلك العلوم في التقعيد على طريقة المتون والحدود، وهي طريقة الأعاجم، ثم يلخص القزويني كلام السكاكي ليضع "تلخيص المفتاح" ثم يأتي الشيخ الأخضري الأزهري فينظمه في "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون" وينتشر هذا النظم ليكون عمدة التدريس والشروح، ويبلغ شرح الدمنهوري من الاعتماد عليه ما بلغ. والعلماء الباحثون يجمعون في إعجاز القرآن - ما عدا من يقول بالصرفة وحدها وجها للإعجاز- أن البلاغة وجه من وجوه الإعجاز، بل هو الوجه الذي يلازم القرآن في كل سوره. لذا عني العلماء الذين درسوا الإعجاز بهذا الجانب أكثر من غيره، حتى أصبحت معظم الكتب المؤلفة في الإعجاز القرآني مصادر بلاغية، ثم صار البلاغيون يؤلفون مؤلفاتهم البلاغية لتكون وسيلة لفهم الإعجاز القرآني. لذلك سيكون حديثي في هذا البحث عن التأصيل التاريخي لتفسير البيضاوي، وذلك بتأطيره ضمن خارطة التفاسير:

1- وضعه في سياقه من التفاسير السابقة واللاحقة، وأيضا التأصيل للبلاغة القرآنية.
2- ربطه بالأسئلة الحضارية والمعرفية والإيديولوجية والمنهاجية الداخلية والخارجية، والتي ساهمت في بلورة شروطه وإنتاجه.

المحور الأول: نبذة عن حياة الإمام البيضاوي:

هو عبد الله بن عمر بن علي القاضي ناصر الدين البيضاوي الشيرازي الشافعي، هكذا نسبه عند من ترجم له[1]، وكذلك ذكر نسبه في مقدمة" الغاية القصوى"[2]، وهو فقيه شافعي المذهب أشعري المعتقد، مفسر نحوي، وأصولي متكلم، يكنَّى بأبي سعيد، وأبي محمد، وأبي الخير.لقب البيضاوي نسبة إلى "البيضاء" التي و لُد بها وهي إحدى المدن المشهورة بفارس، ولقب بالشيرازي نسبة إلى مدينة "شيراز،" التي نشأ فيها ثمَّ تولَّى فيها منصب قاضي القضاة. والتبريزي نسبة إلى"تبريز" حيث توفي بها، وبالشافعي لأنه على مذهب الشافعي -رحمه الله- حيث قابل الأحكام الشرعية بالاحترام: وأما لقبه بناصر الدين فكما ذكر ابن العماد: "حيث قابل الأحكام الشرعية بالاحترام والاحتراز"[3].ومصادر ترجمته قد اختلفت في تاريخ وفاته إلى عدة تواريخ أرجحها أن وفاته كانت سنة (685هـ) وهي أرجح الروايات ذكرها الصفدي في كتابه" الوافي بالوفيات" واعتمدها ومشى عليها أكثر المؤرخين وأصحاب التراجم. تلقىّ البيضاوي علومه الأولية على يد والده، ومن شيوخه أيضا: عمر البوشكاني والشيخ محمد الكتحتائي. وقد تتلمذ على يدي الإمام البيضاوي عدد من التلاميذ، إذ أنه قضى حياته في التدريس والتأليف شأنه شأن العلماء، ومن هؤلاء التلاميذ: فخر الدين الجاربردي الشافعي أخذ عن القاضي ناصر الدين البيضاوي وشرح منهاجه، والحاوي الصغير ولم يكمله، وله على «الكشاف» حواشي مفيدة، وشرح «تصريف ابن الحاجب».

ومن تلامذته أيضا، زين الدين الهنكي، وجمال الكسائي له منها كتاب "نور الهدى في شرح مصابيح " و"سير القرائح في الأحاجي" و "النجم في الأصول" وكتاب "الدجى" وغيرها. روح

---

1 - ترجمته في : طبقات المفسرين للأدنهوي (255- 254) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (59/5) البداية والنهاية لابن كثير (13/ 356) الأعلام للزركلي (4/ 110)

2 - مقدمة الغاية القصوى (184/1)

3 - شذرات الذهب لابن العماد (5/ 393)

الـدين الطيـار: تلقـى العلـم علـى البيضـاوي وشـرح كتابـه «المصـابيح » شـرحا وافيا...وللإمـام البيضاوي مصنفات جيدة أهمها تفسير :" أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، الذي اعتمد فيه على تفسير ((الكشاف)) للزمخشري، وهو تفسير جيد لطيف، جمع فيه بين حسن العبارة وقوة البيان، ومن ثم اعتمده كثير من المفسرين.

المحور الثاني: مكانة تفسير البيضاوي العلمية:

إن مؤلفات القاضي البيضاوي قد أحاطت من كل علم بحصة؛ مما يظهر لنا مكانته العلمية في مختلف أنواع العلوم الإسلامية. ففي مجال الفقه ألف كتاب "الغاية القصوى في دراية الفتوى" اختصرها من كتاب الوسيط في الفقه لأبي حامد الغزالي، وفي مجال أصول الفقه ألف كتابه المختصر "منهاج الوصول إلى علم الأصول".وفي مجال النحو ألف كتاب "لب الألباب في علم الإعراب"، اختصر فيه الكافية لابن الحاجب، وغيرها من المؤلفات .وجاء تفسيره "أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل" خلاصة يودع فيها نبوغه في مختلف العلوم النافعة، في منتصف القرن السابع الهجري–أي في الحقبة الأخيرة من حياته – على ما يرجحه الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور[1].

وقد استفاد القاضي البيضاوي من هذه العلوم التي برع فيها، وسخرها، لتكون خادمة لتفسير القرآن الكريم، وجعل منها أدوات يبرز من خلالها نكاته، واستنباطاته في تأويل القرآن الكريم؛ فنجده قد أجاد سبر مسائل اللغة، في اشتقاق ألفاظها، واستعمالات العرب فيها في أشعارهم، بدقة المحقق وعين الناقد.

المحور الثالث: مصادر تفسير البيضاوي:

خرَّج البيضاوي تفسيره من ثلاثة تفاسير، هي تفسير الفخر الرازي (الذي كان سنياً أشعرياً) وتفسير الزمخشري (كان معتزلياً) وتفسير الراغب الأصفهاني (كان سنياً) فكان تفسيره خليطاً من هذه التفاسير. فتفسير الزمخشري اهتمَّ بعلمي المعاني والبيان، وتفسير الرازي اهتم بإبراز الحكمة القرآنية، وعرض نظرياتها من نواحي الفلسفة وأصول الدين، وأصول الفقه، وتفسير الراغب، اهتم بجانب اللغة وبيان المفردات. و لكثرة استمداد الإمام البيضاوي لتفسيره من "الكشاف" للزمخشري؛ جعل بعض العلماء يعدون تفسيره مختصرا له. والزمخشري كان معتزلي الاعتقاد، فبرز دور القاضي البيضاوي حيث لخص تفسيره وانتقى منه تحريراته البلاغية، ونكاته البيانية فهذبها، محاولا تخليصه من المعتقدات الاعتزالية.

ويأتي في الرتبة الثانية من مصادر القاضي في تفسيره "تفسير مفاتيح الغيب" للفخر الرازي، وقد أبرز الرازي في تفسيره الفلسفة على أنها خادمة للشريعة، لا حاكمة عليها، ولكنه أسهب في تفسيره وأطال بذكر الاستدلالات الفلسفية، واستعراض الآيات الكونية، فجاء القاضي البيضاوي في تفسيره مهذبا لعبارة الرازي في بعض المواطن، ملخصا شيئا من إسهاباته، محررا لفيوضاته، دارجا على نفس طريقة الرازي في إبراز روح الحكمة القرآنية وعرض نظرياتها من نواحي الفلسفة، وأصول الدين وأصول الفقه؛ ولكن بطريقة مهذبة محررة.[2]

وبذلك نجد البيضاوي قد جمع بين هذين التفسيرين -تفسير الزمخشري والرازي- فأحسن الجمع بينهما، وصهرهما في بوتقة تفسيره بطريقة علمية ومنهجية رائعة، مستكملاً بذلك ما يصبو إليه طالب علم التفسير من نكات التفسير ووجوه الإعجاز، الأمر الذي أهل تفسيره ليكون موضع اهتمام العلماء بعده.[3]

1- انظر: "التفسير ورجاله " ص: 92-91.
2- انظر: "البيضاوي ومنهجه في التفسير " ص: 72-70.
3 - انظر: "التفسير ورجاله " ص: 79.

وكذلك اتخذ القاضي البيضاوي من تفسير الراغب الأصفهاني رافدا ثالثا لتفسيره، ليضفي عليه مزيدا من تحرير رونق الكلام، واستجلاء إشارات البيان، مع الاهتمام ببيان المفردات واللغة.[1] وقال صاحب كشف الظنون: "تفسيره، أي "البيضاوي" كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير، رأي الرازي ما يتعلق بالحكمة والكلام؛ ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، وضم إليه ما روي زناد فكره من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشك عن السريرة، وزاد في العلم بسطة، وبصيرة، كما قال مولانا المنشي:

أولُوا الألبَابِ لم يَأتُوا بكشفِ قناع ما يُتْلى
ولكنْ كانَ للقَاضِي يَدٌ بيضـــاءٌ لا تُبْلى

ولكونه متبحرا في ميدان فرسان الكلام؛ فقد أظهر مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام، كشف القناع تارة عن وجوه محاسن الإشارة وملح الاستعارة، وهتك الأستار الأخرى عن أسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها، وترجمان المناطقة وميزانها، فحل ما أشكل على الأنام، وذلل لهم صعاب المرام، وأورد في المباحث الدقيقة ما يدحض بعض الشبه المضلة، وأوضح لهم مناهج الأدلة، والذي ذكره من وجوه التفسير ثانيا، أو ثالثا، أو رابعا، بلفظ قبل فهو ضعيف ضعف المرجوح، أو ضعف المردود. ثم إن هذا الكتاب رزق من عند الله سبحانه وتعالى بحسن القول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علق تعليقاته على سورة منه، ومنهم من حشى تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض المواضع منه.."[2]

المحور الرابع: البلاغة في تفسير "البيضاوي والاستمداد"

قال عز وجل في سورة الإسراء: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}. وقال تعالى أيضا، في سورة آل عمران: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}.

فعلم البلاغة هو السبيل إلى إثبات هذا التفوق والإعجاز "للنظم القرآني" على سائر ما جادت به قرائح الفطاحل من الخطباء، والشعراء، وغيرهم، و قد اهتم العلماء -قديما وحديثا- بدراسة بلاغة القرآن، والكشف عن أوجه الإعجاز فيه، من أجل أن تظهر للعالمين معجزة القرآن الخالدة؛ فتقوم الحجة على الجاهل، وتزول الشبهة عن المبطل، ويطمئن قلب المؤمن، إن إعجاز القرآن الكريم يتمثل في قوة نظمه العجيب، وهو ما ذهب إليه منظر علم البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث قال: {بأن النظم البليغ هو أن يوضع الكلام وضعه الذي يقتضيه علم النحو، والعمل وفق قوانينه وأصوله، ومعرفة مناهجه فلا يزاغ عنها، ولا يخل برسومه التي رسمت في وجوه كل باب وفروقه، و النظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ويعرف فيما حقه الوصل، وموضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع "ثم"، وموضع "لكن" من موضع "بل"، ومعرفة كيفية التصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام، وفي الحذف والتكرار والإضمار، فيوضع كلا من ذلك مكانه، ويستعمل على الصحة وعلى ما ينبغي}.[3]

إن إعجاز القرآن في جهة اللفظ والبيان يقوم على دعائم أربع:

أ- فصاحة ألفاظه، وجمال عباراته.

ب- بلاغة معانيه، وسموها.

ج- روعة نظمه، وتأليفه.

---

1 - انظر: "المرجع نفسه " ص: 93 .وكتاب "البيضاوي ومنهجه في التفسير" ص:74-72.

2 - "كشف الظنون ج "1 . ص: 127-128.

3 - "دلائل الإعجاز"،ص:94،95.

د- بداعة أسلوبه.

هذه دعائم الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وبحثنا سيتناول الجانب البلاغي، والبلاغة عند علماء المعاني والبيان عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ويختلف ذلك باختلاف المقام من كونه مقتضيا للتأكيد أو الإطلاق، أو الإيجاز أو الإطناب وغير ذلك، هذا كله مع لزوم اعتبار فصاحة الكلام في تحقق البلاغة.

ولا يخفى على أحد أن البلاغة بهذا المعنى لا تكون ركنا للإعجاز مالم يضم إليها شيء آخر وهو إتقان المعاني وسموها، وإلا فالمعاني المبتذلة وإن ألبست أجمل الحلي، وعرضت بشكل يقتضيه الداعي إلى التكلم لا توصف بالبلاغة، وعلى فرض صحة التوصيف لا يكون مثل ذلك الكلام أساسا للإعجاز ودعامة له، وهذا مثلما حكي عن مسيلمة الكذاب حيث قال: ((والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا)) فأين هذه المفاهيم الساقطة من المعاني العالية السامية الواردة في **قوله سبحانه:{والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا}**[1].فاللازم في البحث عن بلاغة القرآن التركيز على أمرين:

1- مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

2- سمو المعاني وعلو المضامين.

ثم إن دراسة القرآن من حيث كونه مطابقا للأحوال المقتضية، وما فيه من فنون المجاز والاستعارة يحتاج إلى تفسير حافل، يفسر القرآن من هذا الجانب، ولعل من أحسن ما كتب في هذا الموضوع الكشاف للزمخشري (م/528)، ومختصره للبيضاوي في تفسيره " أنوار التنزيل وأسرار التأويل."

وقد أبدع الإمام البيضاوي في انتقاء عباراته، حيث أشار إلى ذلك العصام الإسفراييني عندما قال في مقدمة حاشيته على البيضاوي: كان كتاب "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" مما يشفي العليل، ويفصح عن عزيز المعاني باللفظ القليل، سلطان حسن تنقيحه وتهذيبه قاض بأن ترمقه من ذوي الأفهام أبصار البصائر، ووزير جمال ترتيبه وتركيبه حاكم بأن تتشرف برقمه أيدي الأقلام بأمداد مداد المحابر".[2]

ويبدو تأثر القاضي البيضاوي جليا بأهل اللغة في نقله عن الخليل، وسيبويه، وثعلب، والزجاج، والمبرد، والأزهري، وغيرهم كثر؛ فكان غالبا ما يذكر من أخذ عنهم.

وقد أجاد البيضاوي في عرض وجوه البلاغة في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك نذكر:

الأمثلة والاستمداد:

الاستعارة في أوائل سورة النازعات، بسم الله الرحمن الرحيم: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا* وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا *وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا}. قال البيضاوي: "هذه صفات ملائكة الموت، فإنهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقا أي إغراقا في النزع، فإنهم ينزعونها من أقاصي الأبدان أو نفوسا غرقت في الأجساد، وينشطون أي يخرجون أرواح المؤمنين برفق، من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر، فيسبقون بأرواح الكفار إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، فيدبرون أمر عقابها وثوابها ..."[3].

وإن تفسيره هذا مستمد من تفسير الإمام الزمخشري،حيث قال في "الكشاف": "أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها. من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تسبح في مضيها، أي: تسرع فتسبق إلى ما

1- سورة العاديات : 1 - 3 .

2 - "حاشية العصام الإسفراييني على تفسير البيضاوي"، 2/أ.

3 - "أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي،ج 3" ص : 494

أمروا به، فتدبر أمراً من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم، أو دنياهم كما رسم لهم **{غَرْقاً}** إغراقا في النزع، أي: تنزعها من أقاصي الأجساد من أناملها وأظفارها، أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها...."[1]

ومثال للتشبيه في سورة المعارج من **قوله تعالى:{وتكون الجبال كالعهن المنفوش}**، حيث قال الإمام البيضاوي:" كالصوف المصبوغ ألوانا ؛ لأن الجبال مختلفة الألوان فإذا بست وطيرت أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح".[2] وهو نفس تفسير الإمام الزمخشري حيث قال: "كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بست وطيرت في الجو: أشبهت العهن المنقوش إذا طيرته الريح"[3]، والملاحظ أن الإمام البيضاوي كان تأثر بالإمام الزمخشري خاصة في الجانب البلاغي؛ مما دفع بعض العلماء إلى عده مختصرا له.

وكذا **قوله تعالى:{فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان}**:"أي حمراء كوردة... كالدهان: وهو اسم لما يدهن به كالحزام، أو جمع دهن وقيل هو الأديم الأحمر."[4]

فإن الاستعارة في الأصل أخذ الشيء من مالكه عرية، لاستعماله مدة، ثم إعادته إليه، وفي اصطلاح أهل البلاغة: استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي لمشابهة بينهما، وهي من أنواع المجاز، وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية، وبما أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فإن أسلوب الاستعارة موجود فيه بكثرة، ومن أمثلة ذلك أيضا نذكر ما جاء به البيضاوي في تفسيره، وسنذكر أيضا استمداده من تفسير الزمخشري في كثير من المواضع:

1- {خَتَمَ اللـه على قُلُوبِهِمْ وعلى سَمْعِهِمْ وعلى أبصارهم غشاوة}، تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه. والختم الكتم، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه، والغشاوة: فعالة من غشاه إذا غطاه، بنيت لما يشتمل على الشيء، كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة، وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي، واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم، وانهماكهم في التقليد، وإعراضهم عن النظر الصحيح، فتجعل قلوبهم مختومة بحيث لا ينفذ فيها الحق، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم، لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين، فتصير كأنها غطي عليها. وحيل بينها وبين الإبصار، وسماه على الاستعارة ختماً وتغشية. أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها، بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختماً وتغطية، وقد عبَّر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في **قوله تعالى:{أُولَئِكَ الذين طَبَعَ اللـه على قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وأبصارهم}** وبالإغفال في قوله تعالى: {وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا} وبالإقصاء في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت إليه ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه بدليل **قوله تعالى: {بَلْ طَبَعَ اللـه عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ}** وقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ} وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم.[5]

وقال في تفسيرها الإمام الزمخشري:" الختم والكتم أخوان؛ لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له، وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه،والغشاوة: الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة، فإن قلت: ما معنى الختم

---

1 - "الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج 30". ص: 1175.
2- "المصدر نفسه، ج3". ص: 447
3 - "الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج29". ص:1139
4 "تفسير البيضاوي, مرجع سابق، ج 3" . ص: 356
5 "تفسير البيضاوي، مرجع سابق،ج1". ص:41-42

على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت: لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل، أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم، لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت، وحيل بينها وبين الإدراك، وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها، وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية..."[1].

والمتمعن في تفسير الإمام البيضاوي يجده مستمدا استمداداً مختصراً من تفسير الإمام الزمخشري، بل وكأنه يقتفي أثره حرفا بحرف، وهذا إن دلَّ على أمرٍ ما، فإنَّما يدل على التأثر الجلي فيه خصوصا في جانب الإعجاز البلاغي.

1- **{فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ}** يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال:

يريد الرمح صدر أبي براء * ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال:

إن دهرا يلمُّ شملي بجمل *** لزمان يهم بالإحسان

وانقض انفعل من قضضته إذا كسرته، ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه...[2]وجاء في تفسير الزمخشري:"استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة، كما استعير الهمّ والعزم لذلك. قال الراعي:

فِي مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا *** قَلَقَ الْفُئُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نُصُولاَ

---

1 - " الكشاف للزمخشري، مرجع سابق، ج1" . ص :41

2 - "المرجع نفسه،ج 2". ص: 350

وقــال أيضا:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاء *** وَيَعْدِلُ عَنْ دِمَارِ بَنِي عَقِيلِ ..."[1].

وهو عين ما ذكره الإمام البيضاوي في تفسير مع اختصار في العبارة،وهكذا فنحن نلاحظ استمداد البيضاوي من تفسير الكشاف خصوصا في المسائل البلاغية، والامثلة، على ذلك كثيرة.

ومن المجاز في القرآن أيضا:

2- **{واخفض لَهُمَا جَنَاحَ الذل}** تذلل لهما وتواضع فيهما، وجعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله:

وغداة ريح قد كشفت وقرة ** إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا أو للقرة زماما، وأمره بخفضه، مبالغة، أو أراد جناحه كقوله تعالى: {واخفض جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} وإضافته إلى الذل؛ للبيان والمبالغة كما أضيف حاتم إلى الجود، والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل. وقرئ: {الذل} بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول...[2]

3- **{أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى}** اختاروها عليه واستبدلوها به، وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان، فإن كان أحد العوضين ناقصا تعين من حيث إنه لا يطلب لعينه أن يكون ثمناً وبذله اشتراء، وإلا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع، ولذلك عدت الكلمتان من الأضداد، ثم استعير للإعراض عما في يده محصلا به غيره، سواء كان من المعاني أو الأعيان، ومنه قول الشاعر:

أخذت بالجملةِ رأسا أزعرا *** وبالثنايا الواضحات الدررا

وبالطويل العمر عمرا جيذرا *** كما اشترى المسلم إذ تنصرا

ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء، طمعا في غيره، والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا إليها، أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى،**{فَمَا رَبِحَت تجارتهم}** ترشيح للمجاز؛ لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم، ونحوه:

ولما رأيت النسر عز بن دأية *** وعشش في وكريه جاش له صدري

والتجارة: طلب الربح بالبيع والشراء والربح: الفضل على رأس المال؛ ولذلك سمي شفا، وإسناده إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل، أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران.[3]كما أن الإمام البيضاوي أشار للكناية في تفسير في مواضع، و الكناية هي أن تقصد وصف شيء أو شخص أو صفة فتستخدم معنى مرادفا لما تريد أن تصفه به، لصيقا به، كأن تقول في وصف رجل كريم، هذا رجل ما في يده ليس ملكا له، ومن الأمثلة على ذلك نذكر:

1-**{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ}** كورق زرع وقع فيه، والآكال وهو أن يأكله الدود، أو أكل حبه فبقي صفرا منه، أو كتين أكلته الدواب وراثته،[4] كنى به عن مصيرهم إلى العذرة فإن الورق إذا أكل انتهى حاله إلى ذلك.

2-**{إِذَا بَلَغَتِ التراقى}** إذا بلغت النفس أعالي الصدر، وإضمارها من غير ذكر؛ لدلالة الكلام عليها،[5] كناية عن الروح، وفي الكناية عن الأرض قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} من على الأرض من الحيوانات أو المركبات.[1]

---

1 - "تفسير الزمخشري"، مرجع سابق، ج 15" ص:452

2 - "تفسير البيضاوي"،،مرجع سابق،ج 2 . ص:297-298

3 - "المرجع نفسه"، ج 1. ص:51-52

4 - "المرجع نفسه"، ج3. ص: 570

5 - "المرجع نفسه " ج 3. ص: 474

3-{حتى تَوَارَتْ بالحجاب}، أي غربت الشمس، شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها، وإضمارها من غير ذكر؛ لدلالة العشي عليها.[2]

خامسا: التجديد في تفسير البيضاوي:

كان للبيضاوي توجيهات بلاغية خالف فيها الزمخشري، نذكر منها:

أولا: تفسيره للآية 34 من **سورة القصص:{وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّى لِسَاناً فَأَرْسِلْهِ مَعِىَ رِدْءاً}** معينا وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفء، وقرأ نافع **{رداً}** بالتخفيف، **{يُصَدّقُنِى}** بتخليص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة، **{إِنّى أَخَافُ أَن يُكَذّبُونِ}**، ولساني لا يطاوعني عند المحاجة، وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب، وقرأ عاصم وحمزة ،**{يُصَدّقُنِى}** بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف.

{قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور، ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد. **{وَنَجْعَلَ لَكُمَا سلطانا}** غلبة أو حجة. **{فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا}** باستيلاء أو حجاج. {بآياتنا} متعلق بمحذوف أي اذهبا بآياتنا، أو **{نَجْعَلِ}** أي نسلطكما بها، أو بمعنى **{لا يصلون}** أي تمتنعون منهم، أو قسم جوابه **{لا يصلون}**، أو بيان **{الغالبون}** في قوله: **{أَنتُمَا وَمَنِ اتبعكما الغالبون}** "سورة القصص"، بمعنى أنه صلة لما بينه، أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي.[3]

أما الإمام الزمخشري فقد غلب في تفسيرها المجاز العقلي، إذ قال:" فإن قلت: تصديق أخيه ما الفائدة فيه؟ قلت: ليس الغرض بتصديقه أن يقول له: صدقت، أو يقول للناس: صدق موسى، وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق، ويبسط القول فيه، ويجادل به الكفار، كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة، فذلك جار مجرى التصديق المفيد، كما يصدّق القول بالبرهان، ألا ترى إلى قوله: **{وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّى لِسَاناً فَأَرْسِلْهِ مَعِىَ}**، وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك، لا لقوله: صدقت، فإنّ سحبان وباقلا يستويان فيه، أو يصل جناح كلامه بالبيان، حتى يصدّقه الذي يخاف تكذيبه، فأسند التصديق إلى هارون، لأنه السبب فيه إسناداً مجازياً، ومعنى الإسناد المجازي: أن التصديق حقيقة في المصدق، فإسناده إليه حقيقة، وليس في السبب تصديق، ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة، والدليل على هذا الوجه **قوله تعالى: {إِنّى أَخَافُ أَن يُكَذّبُونِ}** وقراءة من قرأ: **{ردءا يصدقوني}**. وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني،[4] **المثال الثاني :** الآية 73 من سورة الكهف فسرها البيضاوي بقوله: **{قَالَ لا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ}** بالذي نسيته أو بشيء نسيته، يعني وصيته بألا يعترض عليه أو بنسياني إياها، وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها، وقيل أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة، وقيل إنه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه، **{وَلاَ تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْراً}**، ولا تغشني عسرا من أمري بالمضايقة، والمؤاخذة على المنسي، فإن ذلك يعسر على متابعتك..."[5] فقد خالف في تفسيره الإمام الزمخشري الذي قال فيها:" **{قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73)} {بِمَا نَسِيتُ}** بالذي نسيته، أو بشيء نسيته، أو بنسياني: أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي، أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار، وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب، مع التوصل إلى الغرض، كقول إبراهيم: هذه

---

1 - "المرجع نفسه" ج 3. ص: 35

2 - "المرجع نفسه " ج 3. ص: 173

3 - "تفسير البيضاوي" مرجع سابق، ج3. ص: 15

4 - "تفسير الزمخشري" مرجع سابق. القصص الجزء من المصحف 28. ص: 800- 801

5 - "تفسير البيضاوي" سورة الكهف الجزء الثاني. ص: 348

أختي، وإني سقيم. أو أراد بالنسيان: الترك، أي: لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة. يقال: رهقه إذا غشيه، وأرهقه إياه. أي: ولا تغشني {عُسْراً} من أمري، وهو اتباعه إياه، يعني: ولا تعسر علي متابعتك، ويسرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة، وقرئ: (عُسُراً)، بضمتين."[1]

المثال الثالث: الآية الخامسة من سورة الفاتحة: جاء في تفسير البيضاوي:"**{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**، ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد، ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات، وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك، أي: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة؛ ليكون أدل على الاختصاص، وللترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود، فكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً، بنى أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر، والفكر والتأمل في أسمائه، والنظر في آلائه، والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه، وباهر سلطانه، ثم قفى بما هو منتهى أمره، وهو أن يخوض لجة الوصول، ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها- اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للأث- ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر، تطرية له وتنشيطا للسامع، فيعدل من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس، **كقوله تعالى: {حتى إِذَا كُنتُمْ فِى الفلك وَجَرَيْنَ بِهِم}، وقوله: {والله الذى أَرْسَلَ الرياح فَتُثِيرُ سحابا فَسُقْنَاهُ}** وقول امرئ القيس:

تطاوَلَ ليلُكَ بالإثمدِ *** ونامَ الخليُّ ولم تَرْقُدِ
وباتَ وباتَتْ له ليلة *** كَلَيْلَةِ ذي العائرِ الأرْمَدِ
وَذَلِكَ منْ نَبَأ جاءني *** وَخبرْتهُ عَن أَبي الأَسْودِ

والاستعانة: طلب المعونة، وهي: إما ضرورية، أو غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل، وتصوره، وحصول آلة، ومادة يفعل بها فيها، وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل. وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل، ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي، أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه، وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها، أو في أداء العبادات، والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة، وحاضري صلاة الجماعة، أو له ولسائر الموحدين. أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة، وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر؛ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه نعبدك ولا نعبد غيرك، وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولاً وبالذات، ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت عنه بل من حيث إنها نسبة شريفة إليه ووصلة سنية بينه وبين الحق، فإن العارف إنما يحق وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس، وغاب عما عداه، حتى إنه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها إلا من حيث إنها ملحوظة له ومنتسبة إليه؛ ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال: **{لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا}** على ما حكاه عن كليمه حين قال: **{إِنَّ مَعِىَ رَبّى سَيَهْدِينِ}** وكرر الضمير، للتنصيص على أنه المستعان به لا غير، وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي، ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة.

وأقول: لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه أوهم ذلك تبجحاً واعتداداً منه بما يصدر عنه، فعقبه بقوله: **{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**، ليدل على أن العبادة أيضاً مما لا يتم، ولا يستتب له إلا بمعونة منه وتوفيق."[2]

---

1 - "تفسير الزمخشري "سورة الكهف الجزء السادس عشر من المصحف. ص: 626

2 - "تفسير البيضاوي" سورة الفاتحة ج 1. ص: 15-16

وتفسير البيضاوي أجود بلاغة، وأقوى دلالة من تفسير الزمخشري الذي قال فيها:" والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة، وقرئ: **{إياك}** بتخفيف الياء، وأياك بفتح الهمزة والتشديد، وهياك بقلب الهمزة هاء، قال طفيل الغنوي:

فهَيَّاكَ والأَمْرَ الَّذِي إنّ تَرَاحَبَتْ *** مَوَارِدُهُ ضاقَتْ عليْكَ مَصادِرُه

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه: ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوّة النسج؛ ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى؛ لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع.

فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، **كقوله تعالى: {حتى إِذَا كُنتُمْ فِي الفلك وَجَرَيْنَ بِهِم} [يونس: 22]، وقوله تعالى: {والله الذى أَرْسَلَ الرياح فَتُثِيرُ سحابا فَسُقْنَاهُ} [فاطر: 9]**. وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمِدِ *** ونَامَ الخَلِيُّ ولَم تَرْ قُد

وبَاتَ وباتَتْ لَهُ لَيْلةٌ *** كَلَيْلَةِ ذِي العائرِ الأَرْمَدِ

وذلك مِنْ نَبَإٍ جَاءَني *** وخبِّرْتُهُ عنْ أَبِي الأَسوَدِ

وذلك على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه؛ ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه؛ ليكون الخطاب أدل على أنّ العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به.

فإن قلت: لم قرنت الاستعانة بالعبادة؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرّب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه، ويحتاجون إليه من جهته.

فإن قلت: فلم قدّمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها.

فإن قلت: لم أطلقت الاستعانة؟ قلت: ليتناول كل مستعان فيه، والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة، ويكون قوله: {اهدنا}، بياناً للمطلوب من المعونة، كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم، وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام، وأخذ بعضه بحجزة بعض."[1]

خلاصات واستنتاجات:

إن ما أسفر عنه البحث البلاغي في تفسير البيضاوي، يعد تبويبا بلاغيا للمباحث البلاغية التي وردت فيه، ومن خلال النظر في هذه المباحث ظهرت نتائج عدة أثمر عنها هذا البحث، وأبرزها: يعد ما نظَّره عبد القاهر الجرجاني، وما طبَّقه الزمخشري والرازي، في تفسيريهما في طليعة مصادر البيضاوي البلاغية في تفسيره، حيث ظهر في تفسيره خلاصة جلية للنظرية البلاغية عندهم، , وإن لم يصرح باسم أحدهم في تفسيره.

1- كان مفهوم الاستعارة التهكمية والتمثيلية، في تفسير البيضاوي عين ما ورد عند الزمخشري والرازي.
2- لم يفرق بين التمثيل والتشبيه، متابعا الزمخشري.

---

1 - "تفسير الزمخشري" سورة الفاتحة. ص: 28-29

3- كان للبيضاوي توجيهات بلاغية خالف فيها الزمخشري أشرنا إليها خلال البحث وثبت في بعضها أن ما ذهب إليه البيضاوي أدل بلاغيا مما ذهب إليه الزمخشري، ففي المجاز العقلي حمل البيضاوي الآية(34) من سورة القصص على الحقيقة مخالفا ما ذهب إليه الزمخشري في كونها مجازا عقليا، وكذلك في أية (73) من سورة الكهف لم ير فيها تعريضا، وفي الالتفات ثبت أن ما قاله البيضاوي في تفسيره للآيتين (5) من سورة الفاتحة و(21) من سورة البقرة أحسن بلاغيا مما قاله الزمخشري؛ لأنه ذكر دلالات بلاغية يفيدها الالتفات لم يسبقه إليها الزمخشري،... علما انه لم يصرح باسم الزمخشري، ولم ينسب هذه الآراء اليه ، وإنما اكتفى أحيانا بنسبتها إلى المعتزلة، وقد استند على أدلة سياقية وبلاغية فيما ذهب إليه.

4- البيضاوي في وقفاته البلاغية مع النص القرآني، استشهد لما ذهب إليه بالقرآن الكريم، والحديث النبوي، والكلام العربي البليغ من شعر ونثر، وكانت شواهده من الشواهد التي اعتمدها البلاغيون قبله وبعده.

5- وجدنا في تفسير البيضاوي على إيجازه أغلب فنون البلاغة إن لم نقل كلها، وإن كانت بعضها إشارات إلا أنها عكست سعة اطلاع البيضاوي على هذه الفنون، وتذوقه البلاغي لها ولأثرها في دلالة النص القرآني العظيم.

والحمد لله الأول والآخر، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين أبي الزهراء محمد وآله الطاهرين الطيبين، وأصحابه الأخيار المنتجبين.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2- البيضاوي مفسراً: الدكتور عبد العزيز حاجي – دمشق– مطبعة دار الحسنين، دار حازم – الطبعة الأولى، 1421 هـ 2000 م.
3- البيضاوي ومنهجه في التفسير: يوسف أحمد علي، وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، إشراف الدكتور محمد شوقي خضر السيد.
4- التفسير ورجاله: محمد الفاضل بن عاشور –مطبعة مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر -1390هـ 1970 م.
5- حاشية العصام الإسفراييني على تفسير البيضاوي: إبراهيم بن محمد عربشاه الإسفراييني المشتهر بعصام الدين - مخطوط عائد لقسم التراث العربي في الكويت موجود بمكتبة الحرم النبوي الشريف.
6- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771 ه) –،تحقيق: د. محمود محمد الطناجي د. عبد الفتاح محمد الحلو – مصر–مطبعة دار هجر،الطبعة2 1413هـ.
7- طبقات المفسرين للأدنهوي: أحمد بن محمد الأدنوهي (ت ق 11 ه) –تح: سليمان بن صالح الخزي–السعودية – مطبعة مكتبة العلوم والحكم – الطبعة الأولى، 1417ه، 1997 م.
8- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المشهور بحاجي خليفة (ت 1067 ه) مطبعة مكتبة المثنى العراق - 1941 م
9- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت791)، حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه وضبط نصه: محمد صبحي بن حسن حلاق، والدكتور محمود أحمد الأطرش، دار الرشيد دمشق بيروت، مؤسسة الإيمان بيروت، الطبعة الأولى، 1421ه،2000م.
10-تفسير الكشاف عن حقائق التنويل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467-538ه)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت لبنان، ط 3، 1430ه/2009م.

Summary

This methodical study is done by Dr. Monadil Abdelaziz in 23 pages. It contains an introduction, four chapters with footnotes and references at the end. It sheds light on Al Bidaoui, an outstanding Islamic scholar and eminent figure in Quranic eloquence through his book : « Anouar Al-Tanzil wa Asrar Al-Taawil » (devine revelation enlightement and secrets of interpretation).

This study tries to put the scholar's interpretation book in its historic chronological context among other figures within the same discipline. It also tries to illustrate the rethorical and stylistic structure and clarifies the inimitable style of the Quran which trenscended Arabs , then. It tries to compare a number of books of

scholars who are interested in rethorical and eloquence style in holy Quran and their boks which are considered introductions to interpretations like : « Al-Muharrir Al-Wajiz » by Ibn ‘Atiyyah , « Al-Jami’ Li Ahkam AL-quran » by Al-Qurtobi, « Al-Tashil li ‘Oloum Al-Tanzil » by Ibn Juzay, « Al-Bahr Al-Muhit » by Abi Hayyan, « Mahasin Al-Taawil » by Al-Qasimi and « Al-Tahrir and Al-Tanwir » bu Tahir Bin ‘Ashur. The study also mentions other outstanding famous figures who contributed with a great deal to scutinizing the interpretation and linguistic structure of holy Quran like : Dr. Rabih Dub, Imam Abd El-qahir Al-Jurjani, Imam Al-Zamakhshari with his book « Al-ka’shaf », and others.

In the first chapter, there is an autobioghraphy of Abdullah bin Omar bin Ali Al-Qadi Nasir Eddine Albidaoui Al-Shirazi Al-Shafi’. He was born in Persia and believes in shafi’ Islamic trend of Imam Shafi’. He lived in the 7th centrury (hijri) and was a student of his father as well as other shieks like El-Boushkani and Muhamed Al-Katihtani. He was a teacher and devoted most of his life to writing. Many outstanding scholars were his students.

In the second chapter, the focus was on the scientific position of Al-Bidaoui Interpretation. All the books of Judge Al-Bidaoui are comprehensive and well scrutinised. He wrote in Al-Fiqh Al-Islami, grammar and other disciplines exploiting rhetorical and derivative styles.

In the third chapter, the writer depicts the resources that Al-Bidaoui depended on in his interpretation, among which we find : Fakhr Razi interpretation, Al-Zamakhshari interpretation and Al-Ragib Al-Asfahani. His interpretation was a mixture of these three books.

In the fourth chapter, the writer tries to show the eloquence in Albidaoui interpretation in Quranic verses, showing that the rhetoric is ideal and unique in Quran in comparison with Arab poetry or prose. Moreover, Al-Bidaoui made the rhetorical and semantic limits to meet a miraculous Quranic image.

Finally, Al-Bidaoui was very selective in his way to draw an ideal image of the miraculous style of Quran.